جزاء الفضيلة

للكاتب التركي رشاد نوري
بقلم الأديب السيد بشير الشريقي

(بهو دار البلدية في مركز إحدى المتصرفيات وقد غص بالعلماء والشيوخ وكبار الموظفين وأعيان المدينة)

(يوالي المتصرف قرع الجرس وهو في كرسي الرياسة حتى إذا سكنت الضوضاء وأنصت الحاضرون أنشأ يقول : افتتحت الجلسة يا سادة. إنكم تعرفون الغاية من هذا الاجتماع فلا أتعب حضراتكم بمقدمات لا لزوم لها بل أرى أن أدخل في الموضوع رأساً

لقد انتقل إلي رحمة الله منذ أربعة أشهر الحاج (بهاء الدين أفندي) المعروف (ببوزجي زاده) وكان من تجار مدينتنا الموثوق بهم ومن كرام أعيانها وهاذا هو يدل على مبلغ سخائه بتخصيصه خمسمائة ليرة من كامل ثروته البالغة أربعمائة ألف ليرة ، لتنفق في وجوه البر والاحسان وإني أقرأ عليكم الفقرة الخاصة بذلك من وصيته

(المتصرف يخرج غلافاً من بين الأوراق المكدسة أمامه ويصلح نظارتيه ويقرأ)

بعد أن تقسم ثروتي بين الورثة كما هو موضح في أعلاه يصرف المبلغ الباقي وقدره خمسمائة ليرة في الأعمال الخيرية على الوجه الآتي :

(١) تبتاع ستارة ثمينة بمبلغ خمس عشرة ليرة يجلل بها باب (مسجد جلبي) على أن يطرز اسمي في منتصفها بخيوط صفراء

(٢) تبتاع سبعة أباريق من النحاس الأصفر ينقش عليها اسمي وتوضع في سقاية (حسن الصغير)

المتصرف — حيث أن هذا القسم من الوصية طويل ولا علاقة له بموضوعنا الذي اجتمعنا من أجله فانكم توافقون على أن نصرف النظر عنه وننتقل إلى الفقرة الخاصة بنا

(المتصرف يقرأ) :

يرينا الاختبار أن رجال النزاهة والاستقامة يقل عددهم يوماً بعد يوم ، وهذا مما يؤسف له حقاً فلعلاج هذه الظاهرة الخطرة على قدر المستطاع ، ولتشجيع أهل العفة وحث الناس على الاقتداء بهم فاني أوصي أن يعطي مبلغ المئتي ليرة الباقي من الخمسمائة ليرة إلي أعف شخص في مدينتنا على أن يشهد الجميع بعفته واستقامته وأن تقرر ذلك هيئة مؤلفة من وجوه المدينة وأعيانها ، وعلى من سينال الجائزة أن يتعهد مع القسم بإيفاء الشروط الآتية :

أولاً : أن يرشد الناس إلى الخير في كل فرصة ومناسبة ويعلمهم أن النزاهة والاستقامة تكسب صاحبها الفوز والنجاح في الدارين ويضرب المثل على ذلك بهذه الجائزة

ثانياً — أن يتلو سورة (يس) الشريفة في كل مساء خميس

ثالثاً : أن يقرأ (المولد الشريف) في السنة مرتين

رابعاً : أن يزور قبري مرة في الأسبوع ...

(يلقي المتصرف الأوراق من يده) — لا أرى من

(*) نقل لنا معانيها من التركية الأستاذ عمر فائق مدير المدرسة الثانوية في أربد فوضعتها في هذه الصيغة العربية

حاجة لمتابعة هذه الشروط التى تبلغ واحداً وسبعين شرطا لأن وظيفتنا الأصلية هى انتخاب من يتفق الجميع على أنه أنزه وأعف شخص فى البلد . ولتسهيل مهمة هيئتكم المحترمة قد نظمت بالاشتراك مع سعادة الباشا رئيس البلدية وحضرة الأفندى رئيس المحكمة قائمة بأسماء المرشحين ؛ ولكن مما يؤسف له حقا أن قائمتنا هذه ليست غنية بالأسماء فنحن بعد أن أجرينا تحقيقا دقيقا مع هيئة الشيوخ لم نجد سوى خمسة أشخاص قد توفرت فيهم الشروط اللازمة، ولكى نبرئ ذمتنا أمام الله فقدعلقنا أسماء هؤلاء الأشخاص على أبواب المتصرفية والبلدية والمحكمة ورجونا الشعب أن يوافينا بكل ما يعرفه عنهم

أصوات — (موافق ! نعم مافعلتم)

الرئيس — إن أول المرشحين هو السيد (حافظ رائف) أحد كتاب البلدية ، والسيد حافظ رائف يعرفه الجميع ويحبه الجميع ، إن هذا الشخص الذى أمضى ثلاثين عاما فى دائرة البلدية لم يعرف عنه أنه أساء إلى أحد فى يوم من الأيام

أصوات — نعم هذا صحيح

الرئيس — ولكنى أستدرك فأعرض على حضراتكم بأن حافظ أفندى قد جاء قبل ساعة إلى مقام العاجز وحدثنى حديثا غريبا جدا. قال لى: أنا فقير الحال وكثير العيال وإن مثل هذا المبلغ على فرض أني ظفرت به سيكون له أعظم شأن فى حياتى ولكنى على الرغم من ذلك أشعر بخوف غريب لا أعرف له سببا ... أرجو إعفائى من هذه الجائزة

رئيس المحكمة — ليس من محل لمثل هذا التوهم وعلينا أن نقوم بواجبنا نحو هذا الرجل المستقيم

طبيب البلدية — (وهو فى الخمسين من عمره، بدين، أشيب الشارب ، أحمر الوجه)

حضرة الرئيس ، أرجو أن يسمح لى بالكلام . إني مقتنع أنا العاجز بأن هذا الرجل قد شعر بالخطر شعوراً حقيقياً فأرى أن ينظر إلى طلبه بعين الاعتبار فيصرف النظر عن هذه الجائزة التى أراها منافية للأخلاق

أصوات عديدة — (الله الله . أسكتوه إنه يهذى)

الطبيب — ياحضرة الرئيس أرجو أن يحفظ حقى فى الكلام ... أيها السادة لا فائدة من الضوضاء ... سأتكلم حتى النهاية ... إننا جميعنا نعرف من هو (بوزجى زاده) فلا حاجة بنا إلى خداع أنفسنا ليغفر الله له سيئاته

المدرس زاهد افف — (بصوت أجش)

اذكروا موتاكم بالخير

الطبيب — لقد قلنا ياسيدى . غفر الله سيئاته نعم إن (بوزجى زاده) هذا قد أراد حتى بعد وفاته أن يزعج مواطنيه ويسيء إلى الناس ... لاتصيحوا أيها السادة ... سأتم كلامى ولو انفلق الحجر ... أراكم لم تدركوا ما تنطوى عليه كلمة (شهادة الجميع) من النوايا المبيتة . إنها تجعل هذا الشخص المسكين هدفا لانتقاد الألوف من أهل هذه البلدة وكل واحد منهم عالم مستقل . إن السماح لآلاف العيون أن تخترق (حريم) عائلة مستورة لهو من أفظع الجرائم . أيها السادة إذا كنتم تحترمون العفة والفضيلة حقيقة فدعوا الرجل فى عزلته يعيش كزهرة متواضعة من أزهار الجبال . إنكم تعرضون هذا الشخص الذى ستجعلونه نموذجا للعفة والاستقامة للغرق فى طوفان

من الحسد والغرض . ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ؟ إنى أخشى أن تجمل الأغراض والمنافع من قطرات الندى على وجه هذا التمثال الذى انعكس عليه الضوء لطخات إجرام ، لذلك أرى أن تلغى هذه الجائزة

المدرس زاهد افف — لولا أن المجال ضيق لأثبت لك بالدليل القاطع أن دفاعك كله مغالطة وسفسطة .

الرئيس — لنستمر فى البحث ؟ لقد صنف الكاتب ما ورد من رسائل ، فاذا سمحتم قرأ عليكم خلاصتها .

الكاتب — الرسالة الأولى وردت من جار لحافظ افندى يشهد له فيها أنه رجل طيب ولكنه يذكر أن مشاجرة وقعت فى الحى الذى يقطنه رائف افف وأنه لما دعى للشهادة رفض أن يدلى بأقواله مدعياً أنه لم يشاهد شيئاً فى حين أن أشخاصاً يشهدون أنه كان حاضراً .

المدرس — إن هذا لعمر الحق ذنب عظيم . لقد كنا نعتقد فى رائف افف التقوى والصلاح فاذا به يكتم الشهادة أحياناً فأرجو أن تسجلوا عليه ذلك .

الكاتب — الرسالة الثانية وردت من جار آخر يقول فيها إن حافظ رائف افف كتب فى العام الماضى عريضة لامرأة فقيرة مهاجرة ذكر فيها أن المرأة عليلة مريضة .

الطبيب — ما هو ذنب حافظ رائف؟ لقد قالت له المرأة إنها مريضة فكتب أنها مريضة .

المدرس — لا تقل ذلك يا حضرة الطبيب، إن وسيط الخداع خداع . أرجو تدوين ذلك .

الكاتب — التحرير الثالث ورد من مختار الحى السابق يذكر فيه أنه منذ سنتين كانت تسكن امرأة فى الحى الذى يقيم فيه رائف افندى وأنه ثبت بالتواتر أن هذه المرأة قبلت فى منزلها رجلا غريباً عنها فوضع أهل الحى عريضة طلبوا فيها طردها من جبهم وأبى رائف أن يوقع تلك العريضة .

أصوات عديدة — لم نكن نتوقع هذا النكر من حافظ رائف .

الطبيب — وأى منكر فى هذا ؟ لقد أحسن صنعاً ؟ ليس من شأنه أن يوقع مثل هذه العرائض .

المدرس — بل ليس أفظع من ذلك ؟ إن من يحمى الفجور هو فى الواقع مروج للفحشاء وإنكم لتعرفون ماذا يسمى من يسهل الاتصال غير المشروع .

الطبيب — وعليه قيدوا ذلك على التمس

المدرس — كلا . . . سوف لا نلقب حافظ رائف بهذا اللقب البشع حرمة لما له من حسنات بل أرى أن يكتفى بالقول إنه سهل من بعض الوجوه إجراء فعل شنيع .

أصوات — موافق . موافق .

الكاتب — الكتاب الرابع ورد من أحد المستأجرين يتهم فيه رائف أفندى أنه كان يكذب فى بيان بدل إيجار العقارات ليستفيد أصحابها فيدفعون ضريبة مخفضة .

الطبيب — أيها السادة أرجوكم . . . كلنا يعلم مقدار ما كان يدفعه المرحوم « بوظجى زاده » عن أملاكه . . .

المدرس — (الباطل لا يقاس عليه) يا حضرة الطبيب ؟ ليدون ذلك .

المحاسب — أرجو أن تسمحوا لى بهذا الكتاب ياحضرة الرئيس لأجرى التحقيقات الأصولية حتى إذا ثبت ما جاء فيه ضمناه الخسارة من أصل الجائزة .

الكاتب — صاحب هذا الكتاب استعاض عن التوقيع بهذا الشطر (العدل يستغنى عن التوقيع) التوقيع » وهو يفشي فى كتابه بعض أسرار تتعلق بحياة رائف الخاصة .

الطبيب — لوجه الله أرى أن يطوي هذا الكتاب على الأقل ، أنا لا أرى من حقنا أن نبحث فى حياته الخاصة .

المدرس — الله ! الله ! إذا نحن لم نسبر غور حياته الخاصة فكيف تثبت عندنا درجة عفته وفضيلته . استمر يا حضرة الكاتب .

الكاتب — إنى أقرأ بعض فقرات وردت فى الكتاب « تزوج رائف افندى من امرأته الأولى بعد غرام دام ستة أشهر ؟ أما أمرأته الثانية التى تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى فقد كانت زوجة رجل عجوز يشغل منصب رئيس محكمة الجنايات عرفها أثناء ترددها على دار البلدية لقضاء مصالح لها ومن ذلك الحين تمكن الحب بينهما فما أن توفى زوجها حتى عقد عليها !

المدرس — يالله ! يا للعجب العجاب ، إن فى حياة هذا الرجل الذى كنا نظنه المثل الأعلى للفضيلة صفحات مات فيها الوجدان ، خداع امرأة ذات زوج ، وأين يقع ذلك ؟ على رأس العمل أثناء القيام بالوظيفة . حسن استمر أيها الكاتب .

الكاتب — منذ سبع سنين فوجئت ابنة خالة حافظ رائف افندى مختلية بضابط فى منزلها وأحبت ابنته الكبرى جابيا وفرت معه ، وحبس ابنه الصغير شهراً ونصف شهر لضربه ابن جاره و كسره سنين من أسنانه .

الطبيب — حسن ، أمسؤول هذا المسكين عن كل ذلك ؟

ابنته فرت ، ابنه سجن ، ابنة خالته فوجئت مع ضابط ، أما هو فما ذنبه ؟

المدرس — أرجوك ياحضرة الطبيب .. لو كان رائف أفندى رجلا فاضلا حقيقة وربى أولاده تربية دينية صالحة هل تظن أنه كان يحدث ما حدث ؟

الكاتب — صاحب الرسالة السادسة يذكر أن رائف أفندى شوهد منذ ثماني أو عشر سنوات يشرب الخمر فى أحد الأعراس .

أحد الحاضرين — يالها من فضيلة ...

الرئيس — أرجو ألا أكون متطفلا ، إذاً فالرجل يشرب الخمر أحياناً .

الكاتب — الرسالة السابعة من إمام الحى يذكر فيها أن حافظ أفطر أسبوعا فى رمضان محتجا بالمرض .

المدرس — سجلوا عليه تقصيره فى واجباته الدينية .

الكاتب — الرسالة الثانية وردت من رجل يدعى رشدى أفندى كان أمينا على صندوق الانتخابات الأخيرة يذكر فيها أن حافظ رائف امتنع عن إعطاء صوته بدعوى أنهم لم يتركوا له حرية الانتخاب ...

الرئيس — سجلوا عليه أنه استنكف عن القيام بواجباته المدنية والسياسية .

رئيس النادى — تفضلوا وأضيفوا أنه غير مطيع للحكومة المقدسة .

مدير المدرسة — لو أضيف أيضا (أنه يحمل

أفكارا رجعية) لكان ذلك صوابا .

الكاتب — الرسالة التاسعة من مفوض الشرطة يذكر فيها أنه من ستة أشهر بينما كان أحد رجال الشرطة يسوق مومسا سكرى إلى المخفر اضطر إلى استعمال بعض الشدة معها فاعترضه رائف افف وقال له من العيب أن تسيئوا معاملة المرأة .

الرئيس — حال دون قيام الشرطي بواجبه .

الكاتب — الرسالة العاشرة وردت من أحد المراجعين وهو يذكر فيها أن رائف أفف قال له بعد أن ماطله أسبوعا : ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟ إن الرئيس لم يحضر إلى البلدية حتى يوقع على الأوراق

رئيس البلدية — ياله من مفتر ... ومن أين له الحق في انتقاد رئيسه ؟ سجلوا ذلك

الكاتب — الرسالة الحادية عشرة تبحث في إهمال صدر عن رائف افف وذلك أن مناقصة جرت بالأمس لابتياع كمية من الكلس فتأخر رائف عن تسليم مغلف أحد المناقصين إلى اللجنة في الوقت المعين فسبب ذلك أن خسرت البلدية مائة ليرة

رئيس البلدية — كثيراً ما أغضيت عن ذنوب كثيرة كان يرتكبها رائف أفندي، أما الآن فقد طفح الكيل وسأعزله وبامكانه أن يستعين بالجائزة التي سينالها على معاشه فيفتح حانوتاً أو يفعل ما يشاء ذلك ما لا شأن لنا به

رئيس النادي — وعلى كل حال سيكون في بلد آخر إذ ليس من الصواب أن يبقى هذا الرجل في هذا البلد وهو مشكوك في لونه السياسي

الطبيب — يصيح بأعلى صوته :

أيها السادة قليل من الشرف والايمان والوجدان يوجب الكف عن تلاوة هذه الرسائل . إن هذا الرجل فقد الثقة التي تدفع الناس إلى لقاء الناس

الرئيس — وأي محذور ترى في استمرارنا على قراءة هذه الرسائل

الطبيب — وأي محذور أرى ؟ إنكم إذا تابعتم قراءتها ستجدون ما يوجب سوق هذا الرجل الذي اتخذتموه مثالاً للفضيلة إلى المشنقة غداً صباحاً

المدرس — إنك لعلى باطل بيد أني أرى أن نكتفي بما سلف ، لم تكن غايتنا محاكمة هذا الرجل بل التثبت من عفته ونزاهته (ياما في الزوايا خبايا) وأخيراً نشرت صحيفة رائف افف على الجميع فانكشفت فضائله .. أرجو أن يأمر حضرة الرئيس بحذف اسمه من جدول المرشحين ... وفي الجلسة الآتية نحقق عن فضائل الباقين ...

الطبيب صائحاً — يا حضرة الأستاذ يظهر أن فضيلتكم .. قد اعتزمتم سوق أرباب العفة والنزاهة واحداً واحداً إلى المشنقة حتى لا يبقى في المدينة غيركم

« شرق الأردن » بشير الشريفي

التصوف الاسلامي
في الادب والاخلاق

بقلم الدكتور زكي مبارك

يقع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين وثمنهما معاً أربعون قرشاً ، وهو يطلب من المكاتب الشهيرة في البلاد العربية ويطلب بالجملة من مطبعة الرسالة